محاضرات في أصول الفقه القانوني

اعداد الدكتور حسين كركان حسين

المرحلة الرابعة

(المحاضرة الثانية)

القرآن الكريم

تعريفه، خواصه، ودلالته في الأحكام الشرعية

تنقسم مصادر التشريع إلى مصادر أصلية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، ومصادر تبعية يُلجأ إليها عند عدم وجود نص صريح، أو عند الحاجة إلى الاجتهاد في النوازل المستجدة.

ويُعدّ القرآن الكريم أصلَ التشريع الإسلامي ومصدره الأول، وقد عرّفه الأصوليون بتعريفات متقاربة في المضمون، منها أنه : كلام الله تعالى المنزل على النبي محمد ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته . ويشمل هذا التعريف عناصر أساسية، هي: الإلهية في المصدر، والثبوت بالتواتر، والتدوين في المصحف، وخصوصية التعبد بألفاظه.

ويتميّز القرآن الكريم بأنه وحيٌ إلهيٌّ بلفظه ومعناه وأسلوبه، فلا مدخل للبشر في صياغته، وعلى ذلك لا تُعدّ الأحاديث النبوية من القرآن، رغم كونها وحيًا في المعنى، لأن ألفاظها من النبي ﷺ. كما لا يدخل في القرآن ما لم يثبت نقله بالتواتر، ولا ما نزل على الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل.

وقد تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن من الزيادة والنقصان، كما في قوله تعالى :﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، فبقي محفوظًا عبر العصور دون تحريف.

إعجاز القرآن الكريم

القرآن الكريم معجزة خالدة تتجلى في وجوه متعددة، أبرزها:

١. **الإعجاز البلاغي** : حيث بلغ من الفصاحة والبيان حدًّا عجز البشر عن معارضته، رغم التحدي المستمر منذ نزوله .
٢. **الإعجاز المعرفي** : بما تضمّنه من معارف وحقائق أدهشت العلماء في مختلف المجالات .
٣. **الانسجام وعدم التناقض** : إذ تناول موضوعات متنوعة دون أن يقع في اختلاف أو اضطراب .
٤. **الإتقان والثبات** : فلم يثبت بطلان شيء من مضامينه رغم مرور الزمن وتطور العلوم .

٥. **الإخبار بالغيب** : كالإخبار بأحداث مستقبلية تحققت لاحقًا .
٦. **الإشارات الكونية** : التي تضمّنت سنن الكون وأسرار الخلق بما لم يكن معلومًا زمن النزول .

بيان القرآن للأحكام الشرعية

نصّ القرآن الكريم على أنه تبيان لكل شيء، غير أن هذا البيان لا يعني تفصيل جميع الأحكام، بل يشمل نوعين:

١. **بيان مباشر (تفصيلي)** : بالنص الصريح على الحكم، كآيات المواريث .
٢. **بيان غير مباشر (إجمالي أو تأصيلي)** : بوضع القواعد العامة والأصول التي يُرجع إليها في استنباط الأحكام، مثل الأمر بطاعة الله والرسول .

وعلى هذا، فإن فهم الأحكام الشرعية لا يكتمل دون الرجوع إلى السنة النبوية، التي تُبيّن وتفصّل ما ورد في القرآن، إذ إن كثيرًا من الآيات جاءت مجملة أو عامة.

دلالة القرآن الكريم

تنقسم دلالة آيات الأحكام إلى ثلاثة أقسام:

١. **دلالة قطعية** : لا تحتمل إلا معنى واحدًا، وتُعد نصًّا صريحًا يُعمل به دون خلاف .
٢. **دلالة ظنية راجحة** : تحتمل أكثر من معنى مع ترجيح أحدها .
٣. **دلالة محتملة دون ترجيح** : تتساوى فيها المعاني المحتملة، فلا يُصار إلى أحدها إلا بدليل خارجي .

حجية القرآن الكريم

الآيات ذات الدلالة القطعية حُجّة بذاتها، لأنها تفيد اليقين، واليقين حجيته ذاتية لا تحتاج إلى دليل خارجي. أما الآيات المتشابهة التي تتعدد فيها المعاني دون ترجيح، فلا يجوز الاعتماد على أحد معانيها إلا بدليل من السنة أو بقرينة معتبرة، إذ إن الأخذ بها دون دليل يُعدّ ترجيحًا بلا مرجّح، وقد ورد النهي عن اتباع المتشابه دون رده إلى المحكم.